مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 659-667

تيار الوعي في روايات فرجينيا وولف- السيدة دالاواي أنموذجا

Stream of Consciousness in Virginia Woolf's Novels - Mrs. Dalloway as a Model

شهيرة زرناجي*
جامعة بسكرة (الجزائر)
chahira.zernadji@univ-biskra.dz

فوزية دندوقة
جامعة بسكرة (الجزائر)
fz.dendouga;;;;àuniv-biskra.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/10/01
تاريخ القبول: 2023/05/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ تيار الوعي
- ✓ فرجينيا وولف
- ✓ السيدة دالاواي

الملخص:

كتمت فرجينيا وولف الألم وعاشت الصمت، لكنها استطاعت أن ترسم روحها بدقة متناهية في مجموع رواياتها، عرجت على النفس تسردها، تحاورها في مجموعات هجينة من نفسيات وفلسفات وأفكار، لتداعي وعيها ولا وعيها، فسردت الحقائق من خلال شخوصها المتألمة المهزومة.

وقد جاءت هذه الدراسة لتبحث عن ملامح تيار الوعي في كتابات الروائية المتألمة، من خلال رواية (السيدة دالاواي) التي تعد نموذجا لتقمص الحالة النفسية المتأزمة، والانزواء إلى زوايا النفس واللاشعور.

Article info

Received 01/10/2021
Accepted 20/05/2023

Keywords:
- ✓ *Stream of Consciousness*
- ✓ *Virginia Woolf*
- ✓ *Mrs. Dalloway*

Abstract :

Virginia Woolf suppressed the pain and lived in silence, but she was able to draw her soul with extreme accuracy in the sum of her novels, as she came to the soul, recounting it, and conversing with her in hybrid groups of psychology, philosophies and ideas, due to the collapse of her consciousness and unconsciousness, so she recounted the facts through her suffering and defeated characters. This study came to search for the features of the stream of consciousness in the writings of the suffering novelist, through the novel (Mrs. Dalloway), which is a model for reincarnation of the tense psychological state, and retreat into the corners of the soul and the unconscious.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إذا ما طالعت رواية السيدة دالاواي وجدت الكثير من الشخصيات التي استعانت بها الكاتبة لتشرح طبقات المجتمع الإنجليزي ما بعد الحرب العالمية الأولى وفي عصر الملكة فيكتوريا. وتطالعك التحرشات التي تعرضت لها وهي صغيرة من قبل الأخ غير الشقيق، وعلاقة الاعتماد العاطفي مع شقيقتها طوال حياتها، تلك العلاقة المفعمة بالغيرة والتنافس. وعلاقتها مزدوجة المعنى بوالدها بين الاقتداء والندية، هذا الاب الذي توفي عام 1904 م. كما لا يخفى عنك لجوؤها إلى الخيال والفانتازيا طوال حياتها كآلية وأسلوب دفاعي لمواجهة الواقع العائلي المفكك الذي كان يشكل بيئة صالحة لنشوء هذه الازدواجية.

كل ذلك كان على شكل حوار داخلي لا يتوقف، حتى انتهى ليصبح عاجزا عن التميز بين الواقعي والخيالي، في أسلوب روائي جديد ومتجدد، يدعى أسلوب الوعي، من هنا سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح تيار الوعي في رواية (السيدة دالاواي)، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية (ما هي مظاهر تيار الوعي في "السيدة دالاواي"؟)، وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان الآتي:

- دور الرواية في إيقاظ الضمير الإنساني
- ملامح شخصية الكاتبة في واقع الرواية.
- المونولوج الداخلي الذي يبرز نفسية الروائية وشتات أفكارها.

وتحقيقا للأغراض المنشودة حاولنا هيكلة دراستنا في عناصر منهجية كالآتي:

- مقدمة
- مفهوم تيار الوعي
- بين فرجينيا وولف والسيدة دالاواي
- مظاهر تيار الوعي في الرواية الأنموذج
- خاتمة

2. مفهوم تيار الوعي:

تيار الوعي، أو تداعي الذاكرة أو تيار الشعور كما يسميه البعض (Stream of Consciousness)، هو "عبارة أطلقها عالم النفس وليم جيمس (w.jeams)، ليعبر عن الانسياب المتواصل للأفكار والمشاعر داخل الذهن، واعتمدها نقاد الأدب من بعده لوصف نمط من السرد الحديث يعتمد هذا الشكل الانسيابي" (زيتوني، 2002، ص 66.).

وهو معروف أيضا باسم المونولوج الداخلي، وهو طريقة لتصوير الأفكار والمشاعر المتدفقة التي تمر في العقل (Encyclopedia, 2012, p).

ويعرفه إبراهيم فتحي في معجمه بأنه "طريقة في الكتابة تقدم مدركات الشخصية وأفكارها، إنه طريقة في الكتابة تقدم مدركات الشخصية وأفكارها كما تطرأ في شكلها العشوائي، وهذا التكنيك يكشف عن المعاني والإحساسات دون اعتبار للسياق المنطقي أو التمايز بين مستويات الواقع المختلفة (النوم، اليقظة ...الخ)، أو بناء الجملة من حيث ترتيب كلماتها في أشكالها وعلاقاتها الصحيحة" (فتحي، 1986 ، ص116).

وقد مال إلى هذه التقنية في الكتابة الروائية كثير من الكتاب، واعتبروها "الطريقة الرئيسية في السرد مثل جيمس جويس، وفرجينيا وولف، وفولكنر، وكانت دوروتي ريتشاردوسون –رغم عدم تألق موهبتها- هي السباقة في الاعتماد على هذا التكنيك" (فتحي، 1986 ، ص 117).

وهو أسلوب كتابة وولف لروايتها، التي تعد أحد مؤسسي ذلك التيار في الرواية العالمية، بثت من خلاله همومها ومخاوفها، وعبرت عن باطن مشاعرها، فمكنت قراءها من خلال ذلك التعبير عن الاندماج مع ذات الروائية ومدركاتها،وسهلت عليهم الاطلاع على مخاوفهم، وانكساراتهم الداخلية، وانهياراتهم النفسية.

فقد ساهم تيار الوعي في النقد الأدبي في إظهار وجهة نظر الشخص من خلال صياغة تسلسل الأفكار بصيغة كتابية، وهذه الأفكار إما أن تكون محادثة داخلية غير مترابطة، أو تكون متعلقة بأفعال وتصرفات الشخص، وهو يفوق في أهميته تيار السرد النظامي للعالم الخارجي وما فيه والذي كان يطبع الأسلوب التقليدي (Dawling 1991, p 46.).

3. بين فرجينيا وولف والسيدة دالاواي:

اسمان من عالم الأنثى، يجمعهما قاسم مشترك، الأول هو لصاحبة الرواية -محل الدراسة- والثاني هو لبطلة الرواية (كلاريسيا دالاواي)، حيث قامت الروائية كواحدة من رواد تيار الوعي بإسقاط حياتها إن شعوريا أو لا شعوريا في عملها الروائي هذا، فهي الرواية التي تحكي قصة السيدة دالاوي في شارع بوند، وقصة رئيس الوزراء غير المكتملة، فسردت استعدادات كلاريسا لحفل ستستضيفه في ذلك المساء، من خلال منظور داخلي، تسافر القصة إلى الماضي والمستقبل، داخل وخارج عقول الشخصيات، ترسم صورة لحياة كلاريسا خلال فترة ما بين الحربين، فتحاكي قصة حياتها بما فيها من هموم وجنون، واضطرابات نفسية، ومعاناة داخلية. ولتتضح لنا معالم هذه الرواية، وتتجلى جميع عتباتها يجدر بنا التعرف على فرجينيا وولف أولا لنصل إلى ملامح شخصيتها في روايتها.

إذا هي فرجينيا وولف، ولدت في لندن عام 1882، نشأت في بيئة يرتادها الأدباء والفنانون والمثقفون أمثال الفيلسوف برتراند راسل، والمفكر لودفينج، فترعرعت في أحضان الفن والأدب، حتى صارت كاتبة مرموقة، تعتبر من أيقونات الأدب الحديث للقرن العشرين، وهي من أوائل من استخدم تيار الوعي كطريقة للسرد.

توفيت في مدينة لويس عام 1941، حيث انتحرت بإلقاء نفسها في نهر أوس القريب من منزلها، بعد أن ملأت جيوب معطفها بالحجارة، وقبل مغادرتها للمنزل تركت رسالة إلى زوجها ليونارد وولف، معربة فيها عن يأسها بهذه الكلمات.

استطاعت الكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف كروائية متميزة تسليط الضوء على سيرتها ومسيرتها، وتخليد واقعها من خلال رواياتها المتعددة ، فجمعت ملامح هذا الواقع ورسمته بإتقان لقرائها، خاصة في روايتها (السيدة دالاواي)، فهي تحكي في هذه الرواية عن تفاصيل يوم كامل بكل أحداثه وتفاصيله، يوم عاشته كلاريسيا دالاواي، وفيه تذكرت الماضي، وحلمت بالمستقبل. تزوجت من (والتر هيدلام) الذي كان يكبرها بـ 24 سنة ثم وفاته عام 1908 م. وتزوجت من (ليتون ستراتش) الذي انفصلت عنه بعد أقل من عام بسبب رفض عائلتها له. كان السياق اجتماعيا بين حربين عالميتين طاحنتين، جمعتها فيه علاقة محرمة مع زوج أختها، فكان شعورها بالذنب لا يحتمل. شعور يحاكي ما عانته فرجينيا وولف في عجزها عن طي صفحات ماضيها، فبقيت تجتره وتعيشه في كل مرة، مما أدى إلى توترها وشعورها الدائم بالذنب. فكان ذلك سببا في معاناتها النفسية.

تعد (السيدة دالاوي) إذا تجسيدا روائيا لعالم واقعي عاشته فرجينيا وولف، فكانت كلاريسيا دالاواي إسقاط فني لآمال الروائية وآمالها، من خلال نقل جميع الأفكار التي تقبع داخل الشخصيات الرئيسية، حيث تبدأ الرواية بذهاب السيدة كلاريسا دالاوي لشراء الأزهار ، فتسترجع طوال الطريق كل ماضيها خلال 30 سنة، وتنقل لنا وولف كل ذلك الماضي الذي عاشته بطلتها، وهكذا تفعل مع جميع أبطال الرواية.

في (السيدة دالاواي) تقابلنا (فرجينيا وولف) مرسومة الملامح، مسموعة الخطى، فروايتها تعبير عن تجربتها الشخصية، من خلالها نرحل بعيدا في ذاتها، نشاركها غربتها وآلامها، نعيش معها، فنتخيل الجسد كيف أغرقته، وتحملت غرفة احتلها

المرض النفسي والعقلي، وأصواتا تقودها لحتفها، نعرف ما الذي أبكاها وكل الحياة أمامها، ما الذي ساهم في اكتئابها لترسل لنا إبداعها بمثل هذه العبقرية.

روايتها حطام على قبر الوجود، وتخليد لذكراها، ومؤشرات على أسباب التبكير في الرحيل، جمعت كل المتناقضات والفلسفات والأفكار، لتداعي وعيها ولا وعيها، مفقودة هي تحت الركام والوحدة واليتم، وأب يدعي الثقافة والمجد الغائب الحاضر، لإخوة رحلوا قبل أن يبدؤوا، وزوج رحيم لكنه بعيد، فقدت في كل أنفاسها معنى الحياة، فلم يكن لها من صلبها ذكر أو أنثى، روح معذبة تئن في أندية الخوف المطلق، تسافر عبر الأرواح، تركيبة من الهواجس، وآلام الضمير لا تتوقف، تمر عبر أرصفة الشقاء في ظلام الوحدة ولتغادر القنوط غرقا، وكم في رحيلها من الفظاعة، لتعلن كذبتها وغربة الذات في جسدها، لم تقاوم فالاستسلام نكبة في جحيم عمرها، أين كان الآخرون والعلماء والأطباء والنفسيون، والعقلاء والمقربون والزملاء ورواد حفلاتها وعشاقها وأصدقاؤها، وكتبها باختصار؟ أين كانت رغبة الحياة في شقائها، تكبو وتنهض لتمارس فعل الحياة، برغم الحياة لم تجمع شتاتها، لم تقاوم استسلامها. فضلت أبشع طرق رحيلها، مصرة عليه، مشت طريق نهرها، هكذا اختارت أن تكون بطلة حياتها، ورواية عمرها وموتها.

تلك هي فرجينيا وولف التي جسدت تاريخ حياتها في بطلة خيالية، هي السيدة دالاوي؛ الزوجة العصرية لأحد أعضاء البرلمان، في زمن يتشعب إلى أيام ماضية تتدفق فيها الذكريات، وتلك كانت الثورة على الشكل التقليدي لكتابة الرواية الإنجليزية. ميلا إلى التقنية الجديدة في عرض الأحداث ورسم الشخوص عن طريق الانطباعات التي تحدث، والذكريات التي تمر في أذهان الشخصيات في ذلك اليوم الواحد الذي كانت السيدة دالاواي ستقيم فيه حفلتها الكبرى.

3. مظاهر تيار الوعي في (السيدة دالاواي):

"تعرضت وولف لانهيارات مخيفة، شخصها الطب بـ"اضطراب ثنائي القطب"، ناجم عن فرط القلق والتفكير" (عبد العزيز، 2021)، وتعبيرا عن الاضطراب النفسي الذي يعتريها، قالت: "النضج يجعلنا نفقد بعض الوهم، لأجل أن يكسبنا أوهاماً أخرى" (عبد العزيز، 2021). فقد كانت نظرتها للعالم تشاؤمية سوداوية، وما يزيدها سوءا أن تتعرض لأزمة خذلان الكلمات في التعبير عما يراودها، ويختلج ذاتها، فلا يخطر ببالها في مثل تلك المواقف سوى فوضى الأشياء وقسوة العالم، حتى أنها كانت في مثل هذه الحالات تصور شخصياتها في جو من الاضطراب والفوضى العارمة.

سعي هذا النوع من التصوير الأدبي بتيار الوعي، فيه سلطت وولف الاهتمام على المسائل الصغيرة، لتشكيل نسيج الحياة الواقعية اليومية المليئة بالتوتر والاضطراب الدائمين، وسنقدم فيما يلي جملة من مظاهر هذا التيار في (السيدة دالاواي) مستندين إلى خصائصه التي ظهرت في الرواية.

1.3. إيقاظ الضمير الإنساني:

يعرف أحمد أمين الضمير بأنه تلك القوة الآمرة الناهية، التي "تسبق العمل وتقارنه وتلحقه، فتسبقه إلى الإرشاد بعمل الواجب، والنهي عن الرذيلة، وتقارنه بالتشجيع على الخير، والتثبيط عن الشر، وتلحقه بالارتياح والسرور، عند الطاعة والشعور بالألم والوخز عند العصيان" (أمين، 2012، ص.15).

ونعني بالضمير الإنساني "تلك البصيرة التي أفاءها الله على الجنس البشري في مجموع أفراده وعبقرياته ورؤاه.. نعني به إرادة التفوق التي تقود بإلحاحاتها النبيلة وحدسها القويم جميع العائلة البشرية لتعانق مصيرها الخير العظيم" (خالد، 2004، ص7.).

وإذا تتبعنا رواية (السيدة دالاواي)، لوجدناها تزخر بالثنائيات الضدية التي تقابل بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين الموت والحياة داخل المقامات الخطابية الملائمة للوظيفة التعبيرية التي حرصت على استخراج الرواية لوجودها

من مناظرة حبرت بين فرجينيا وكلاريسا أو بين سالي وكلاريسا، أو بين فرجينيا ونفسها، وهذا ماثل في نصوص عديدة من الرواية، ويمكن أن نمثل له ببعض الاقتباسات التي تثبت نزوع الروائية نحو القضايا التي تساهم في إيقاظ الضمير ونشر الوعي الإنساني، من ذلك مثلا قولها: "إن الله العزيز القدير، الحسيب الرحمن الرحيم...قد يصفح!" (وولف، 1998 م، ص 186.)، إذ تحاول من خلال هذه الصفات التي تسندها لله أن تبين للقارئ العادي والناقد صراعها الوجودي بين الخير والشر، الحق والباطل، وبنفس مؤمنة، تقول في موضع آخر: (باب الله مفتوح للجميع) في محاولة منها إلى إيقاظ الضمير الإنساني الذي يقيم علاقة صداقة بالعبادة التي يضمنها أعلى درجات التوقير، ويقيمها على الاحترام المتبادل والتكافؤ الملحوظ (خالد، 2004، ص20.).

ويتأكد هذا المعنى في تركيزها على الطقوس الدينية كالصلاة مثلا، إذ تقول: "...ورأيا الآنسة كيلمان تصلي وتصلي، ولكونهما مازالا على عتبة عالمهما السفلي فقد أخذاها مأخذا عطوفا كروح تحوم في المصر ذاته، وروح قدت من جوهر مادي، ليست امرأة بلا روح" (وولف، 1998، ص75.)، فالإنسان عندما يتجه بالعبادة والتقديس لقوى الكون، فإن هذه القوى ترد إلى الإنسان التحية بأحسن منها، وذلك بعملها الدائب في سبيل حفظ حياته واستمرارها... إن الضمير يحيي هذه القوى ويحيي الإنسان معها (خالد، 2004، ص20، 21.).

تقول أيضا: "ولنكن على قدر ما نستطيع من التقوى"، في محاولة لإيقاظ الضمير الإنساني الذي يرزح تحت طائلة الفساد واللاتقوى، ويعرف كثيرا من أشكال التناقضات والصراعات والسجالات، فتدعو العالم أجمع إلى أن يكون على قدر ما يستطيع من التقوى، إنها لا تطلب تكلفة للنفس في الإيمان والزهد، ولكنها تؤكد على استطاعة الإنسان في اختياره سبيل الخير بدل الشر، لهذا تقول في موضع آخر : "وبما أن كل شيء هو نكتة سخيفة، فلنقم بدورنا على أية حال"، متوجهة بالنصيحة إلى جمهور قرائها بأداء الواجبات، لأن أداء الواجب هو من ناحية أخرى إعطاء للحقوق، ف"ما للإنسان يسمى حقا، وما عليه يسمى واجبا" (أمين2012، ص 53).

وتقول في موضع آخر "لنلطف من شقاء زملائنا السجناء ولنزين زنزانتنا بالأزهار والوسائد الهوائية" (وولف، 1998، ص)، وهنا يظهر الحس الإنساني عند وولف، والنزعة نحو التعاطف مع الآخر، وذلك ناتج من كونها مرهفة الحس تتصور الأنا في مكان الغير ، فترى العالم من منظوره، تشعر معاناته، وتحس آلامه، وتدعو غيرها لأن يكونوا كذلك، ويساهموا في تحسين الوضع وتعديله.

أما في قولها" ..."(وولف، 1998، ص)، وقولها: "..."(وولف، 1998، ص)، فنلاحظ كيف دعت الروائية إلى التحلي بالعدل، والإخلاص لأن العدل مفتاح الحياة المستقرة، "ومن العدل يفجر الضمير كل فضائل الحياة، فالاستقامة والتواضع والصدق والبر والمحبة والثقة بالنفس وبالغير والشجاعة والأمانة...كل هذه الأخلاقيات سيمضي الضمير في الإيعاز بها، والحض عليها، باعتبارها أركان كل حياة عادلة" (خالد، 2004، ص48.).

يعلو صوت الضمير الإنساني في الرواية ويتعالى، ليواصل "نضاله ضد المحرفين والمخربين والقساة" (خالد، 2004، ص101.)، فتقول فرجينيا وولف: "هؤلاء الأطباء العموميون، المسألة تأخذ نصف وقتهم لتصحيح هفواتهم، بعضها غير قابل للإصلاح" (فرجينيا وولف، 1998، ص104.)، مستنكرة عليهم هفواتهم، وأخطاءهم، ومعبرة عن إرادة إصلاح العالم الذي يرزح كله تحت سطوة الأخطاء، وعائداتها. وغير هذه النماذج كثير، وكلها دعوة صريحة من فرجينيا وولف لدغدغة ضمائرنا، وإيقاظها من سبات يكاد يقتلها، فتحيى حياة الإيمان والعدل والحب والمساواة.

2.3. المونولوج الداخلي:

وهو التقنية التي استخدمت "للكشف عن نفسية الشخصيات وتفكيرها" (غانيم ، 1993.ص14)، و"يفترض فيه النقل الأمين لنشاط واقع الوعي" (علوش، 1985، ص206)، ويبرز تيار الوعي من خلال هذه التقنية في الانسياب الذهني لأفكار الشخصيات، وجريانها باطنيا، وقد كثرت نماذج المونولوج الداخلي في رواية (السدة دالاواي) كثرة مثيرة للاهتمام، كانت نابعة في الأساس من نفسية الروائية المفعمة بالاضطراب والقلق الذين كانا يراودانها فتعجز عن التعبير عنها، وتلجأ إلى مناجاة نفسها من خلال حوار داخلي تقدمه شخوصها.

يتجلى الحوار الداخلي في رواية فرجينيا وولف في قولها: "..." (فرجينيا وولف، 1998، ص).

حيث يظهر النص براعة الكاتبة في سبر أغوار شخصياتها من خلال سردها لأدق التفاصيل والجزئيات التي تساهم في التعبير عن الصراع الذي تعانيه الكاتبة في حد ذاتها، فها هي أيضا تقول: "لكن يجب على المرء أن ينصف كلارسيا، أنها لم تكن لتقدم على الزواج من هبو على أية حال، كانت لديها فكرة واضحة تماما عما تريده، كانت عواطفها كلها على السطح، أما في الأعماق فقد كانت بمنتهى الدهاء، أفضل بكثير من سالي في حكمها، مثلا، على سجايا الناس ومع كل هذا فهي أنثوية صرف، بتلك الموهبة الفائقة، تلك الموهبة النسوية، في أن تخلق عالما خاصا بها أيان وجدت أنها لتدخل الصالة فتقف، كما رآها تقف مرارا، في الرواق وكثير من الناس حولها، إنما هي كلارسيا التي يتذكرها المرء، لا إنها باهرة، ليست جميلة على الإطلاق، ولا هي حلوة الرسوم، وما نطقت أبدا بشيء يتميز بالذكاء، مع هذا فها هي، هي هي.(وولف، 1998، ص 84)

من نماذج المونولج أيضا قول وولف "..." (فرجينيا وولف، 1998، ص)، فيكثر في قولها هذا ضميرا المتكلم والغائب، أما الأول فهو لها، وأما الثاني فلبطلتها، ونستطيع أن نصنف هذا النص حسب تقسيم صبيحة عودة زغرب ضمن النوع الثاني للمونولج، وهو غير المباشر الذي تعرفه بأنه حديث يمتزج فيه كلام السارد بكلام شخوصه الروائية، فيسمع القارئ صوتين متداخلين في العبارة الواحدة (زغرب، 2005 ، ص159)، لكنهما صوتان يعبران عن غرض واحد، وبنفس واحد.

ولا يمكن أن نعتبر المونولوج الداخلي مجرد تنفيس عن الأحزان المتراكمة، بمنطق أن إزاحة الغطاء قليلا حتى يجد البخار المتصاعد مخرجا، خير من تدمير الذات. قد يكون الأمر صحيحا لو كان المونولوج الداخلي إيجابيا، لكنه قد يكون سلبيا، هداما للذهن، معششا في أروقته على شكل رثاء للذات (الجندي، 2017، المصري اليوم). من ذلك مثلا قول الروائية "..."

3.3. ملامح شخصية الكاتبة في واقع الرواية.

عاشت فرجينيا وولف حياة بائسة، عرفت فيها سلسلة من الانهيارات العصبية ومتتالية من الانكسارات النفسية، والانهزامات العاطفية، وقد حاولت في روايتها رسم كل ملامح الانهيار والانكسار والانهزام بخط تستقيم فيه الصورة وتتضح، وتعرب عن ألم يحدوها ويحدو بطلتها الرئيسة كلاريسيا، وهذا مقطع من رواية (السيدة دالاواي) يلخص حياتها كلها: "لماذا تعتبر بغتة، بلا سبب يمكنها اكتشافه، أنها تعيسة بشكل بائس وكشخص أسقط قيراطا من لؤلؤ أو من ماس في الحشائش، فهو يفرق أوراقها الطويلة، بعناية تامة، لهذه الجهة وتلك، فيبحث هنا وهناك عبثا، حتى يرصده أخيرا هناك عند الجذور، وهكذا انتقلت هي تمحص الأمور من شيء إلى آخر، لا، ليس الأمر هو كلمة سالي سيتون، إن ريتشارد يبلغ الوزارة أبدا لأن مخه من المرتبة الثانية (عاد ذلك إليها)، لا، إنها لا تعبأ لذلك كما أن الأمر لا علاقة له حتى باليزابيث، ودرويس كيلمان فهذه حقائق، أنه شعور، شعور ما غير لطيف، ربما حصل لها في أول النهار، شيء، قاله بيتر، له صلة بكآبتها، حصل لها في غرفة نومها، وهي تخلع قبضها، وما قاله ريتشارد قد أضاف إليه، لكن ما الذي قاله، وها هي وروده، حفلاتها، ذلك هو الأمر حفلاتها!، كلاهما انتقدها بلا انصاف، كلاهما ضحك منها ظلما وعدوانا من جراء حفلاتها، ذلك هو الأمر! ذلك هو الأمر! أسقطت أو سقط منها أنفس شيء يمتلكه الأسباب وهو الحياة... او سقط منها والتزمت عمرا بأسرة تبحث عنها من الدروب والوجوه كلها سالي،

ريتشارد اليزابيث كيلمان... من دقات الزمن المتسارعة منذ أول النهار في غرفة نومها الخاصة بها من خلال ورودها وحفلاتها وروحها المعذبة بين اليأس والقنوط ثم اليأس والقنوط إلى أعماق ذلك النهر نهر موتها" (وولف، 1998، ص).

نلاحظ في هذه الرواية أن فرجينيا وولف تسقط حالتها النفسية على شخوصها، جميع شخوصها دون استثناء، ف....في الرواية يقابل .... في واقع وولف، و....يقابل..... ، و....يقابل...، وهكذا، إذ إنها اختلقت شخوصا بقدر ما يحتاج واقعها للترجمة والإبانة، فكانت كل واحدة منها رسما لآخر يقابلها في سماء وولف الحقيقية، وتلك خاصية من خصائص الكتابة السردية الحديثة التي سميت بتيار الوعي، حيث يقول جورج لوكاتش إن الرواية المعاصرة وليس التاريخية وحدها خاضعة لتيارين :تيار ينشأ من الحكاية الخيالية والآخر من النقل، ومصدرهما ليس أثير علم الجمال بل واقع حياتنا وضمن أنفسنا" (لوكاتش، 1986، ص402).

ف(السيدة دالاواي) أشبه برواية (رحلة الحج) لدوروتي ريتشاردسون التي قال عنها روبرت همفري إنها "سيرة ذاتية نفسية يكاد يكون من المستحيل على القارئ أن ينجذب نحوها أو يفهم أهمية الإشارات التي تحتوي عليها" (همفري، 2000، ص38)

تقول وولف: "قال السير وليام بالطبع والمسألة هي محض مسألة راحة، راحة، راحة، راحة طويلة في الفراش، ثمة دار استراحة بديعة في الريف، حيث سيعتني بزوجها كامل الاعتناء، سألته، أيكون بعيدا عنها قال نعم، ولسوء الحظ، إذ الذين يهموننا إلى أقصى حد لا يصلحون لنا في مرضنا، لكنه ليس مجنونا، أليس كذلك؟ قال السير وليام، إنه لم ينطق أبدا بكلمة الجنون"، إنه يسمى هذه الحالة، حالة انعدام الجنس بتناسب الأشياء" (وولف، 1998، ص).

وقالت: "الأصوات التي ... سأل سبيتيموس جهازا، فأجابته الأصوات التي تشخشخش فوق رأسه" (وولف، 1998، ص 75) ، فمعروف عنها أنها كانت تعاني من أصوات تراودها بين الحين والآخر، أصوات أدخلتها دوامة نفسية، وجعلتها تعيش عذابا داخليا وصل بها حد الجنون، وهي في روايتها هذه نقلت لنا ما عنته من تلك الأصوات وهلوساتها.

تعبر دائما عن قول أشياء كثيرة في أعماق النفس فتقول: "إذ وقف الفتى بلا حراك، ثم ما إن ارتقى صعدا حتى عزف مقطوعته الحزينة الرهيفة وحركة المرور تجري من تحته وظف ..... أن مرثية الفتى هذه قد عزفت في خضم حركة المور، وهو الآن بتراجع في الثلوج، الورد معلق حوله والورد الأخير الكشف الذي ينمو على جدار غرفة نومي، ذكر نفسه، توقفت الموسيقى، إن لديه قرشه، وفكر في الأمر مليا فمضى إلى الحانة التالية" (وولف، 1998، ص).

يتجلى واقع وولف في (السيدة دالاواي) من خلال كثرة ذكر الموت والموتى والدفن والغرق والقبور والحزن والألم "وهو الحزين العملاق" (وولف، 1998، ص 78)، "لكني تعيسة جدا" (وولف، 1998، ص)، "الملايين تتباكى نادبة" (وولف، 1998، ص)، "الملايين حزنت عصورا" (وولف، 1998، ص)، "كأنه فتى بل كأنه فتاة تراوده المتقلبات المتوالية في المزاج حسنة، أيام سيئة، بدون سبب على الإطلاق، السعادة لمرأة وجه حسن التعاسة لمشهد امرأة رثة الملبس ...." (وولف، 1998، ص 79)، فتصور بالأساس معاناتها التي أسقطتها على شخوصها، فأخذ كل بنصيبه من نفسيتها المتوترة وآلامها المتكررة.

إنها تحيط خطابها الروائي بهالة من الآلام التي عاشتها، فتقول: "إن تقتل أختك أمام عينيك الاثنتين بالذات، فتاة هي أيضا على شفا الحياة، والأكثر موهبة من بينهم، يكفي أن يحيل المرء إلى حاقد هكذا كانت كلاريسا تقول دائما، أما فيما بعد ... لم تكن بهذا الوثوق المؤكد أنها لم تكن ترى أن هناك آلهة، ولا لوم على أحد، وهكذا فقد استنبطت هذا الدين الخاص بالملحدين والقاضي بفعل الخير من أجل الخير" (وولف، 1998، ص 86)، فإليزابيث هي فرجينيا التي كانت تحب أباها، هو الذي ... عيونها على الكتابة والأدب، إليزابيث هي مرحلة من مراحل عمر فرجينيا قبل وفاة والدها والذي على إثره أرادت الانتحار سقوط.

لا تنفك الروائية تذكر القتل، كقولها "العالم كله يتنادى: أقتل نفسك، أقتل نفسك، من أجلنا، لكن لماذا يجب أن يقتل نفسه من أجلهم؟ الطعام لذيذ، الشمس حارة، وهذا القتل للنفس كيف يدبره المرء؟ بسكينة أكل، بساعة، مع طوفان من الدم يمص أنبوب الغاز؟ إنه ضعيف جدا، لا يكاد يستطيع أن يرفع يده ضف إلى ذلك الآن وقد غدا وحيدا، مقضيا عليه، مهجورا كما هم وحيدون، الذين على وشك الموت، فإن ثمة ترقا في المسألة عزلة مليئة بالسمو، حرية لن يعرفها المتعلق بالدنيا أبدا" (وولف، 1998، ص).

ولم تتوقف عن استرجاع ذاكرة موجوعة، واستعادة شريط حياة مؤلم، تمتزج فيه الوحدة بالتوتر وبمرارة الاعتداء وقساوة الهجر والموت... "كم هم وحيدون" (وولف، 1998، ص)، هي تشعر بوحدتها رغم الزواج الذي دام حقبا، لأنه لم يكلل بالثمار، مما زادها وحدة كالبيت المهجور، والجسد المعزول عن كل شيء رغم وجود كل شيء.

4.3. فوضى الأفكار في أذهان الشخصيات ومشاعرها:

يعبر مصطلح تيار الوعي عن "الأفكار الداخلية للشخصية فيما تبدو فيه من عشوائية وتدفق أثناء تفكير الحياة اليومية" (فتحي، 1986، ص116)، ويتجلى ذلك في النص الروائي في الجمل المفككة، والأفكار غير المترابطة، التي يصعب معها فهم النص أحيانا. ولما كانت وولف مصابة باضطلرابات نفسية عديدة، اعتادت سماع أصوات غريبة، ولم يقتصر مرضها على سماع الأصوات، وإنما امتد إلى الهوس والتخيلات. ثم امتد الأمر بعد ذلك إلى شخوصها، فكأنهم يعانون فوضى الأفكار، وصراع العواطف، تماما كما عانت روائيتنا، وقد تجسدت فوضى الأصوات هذه في الرواية في قولها: "لكن وفي الثالثة والخميس، لم يعد الحرب في حاجة إلى الناس إلا بالكاد، إن الحياة نفسها كل لحظة منها، كل قطرة منها، هنا في هذه الهنيهة الآن، في الشمس في منتزه ريجنت تكفي، بل هي أكثر مما يجب (إن عمرا يأسره لهو أقصر مما ينبغي)، الآن وقد اكتسب الحرب التمكن من إضفاء النكهة كاملة من استخلاص كل مثقال من المتعة، كل لون من المعنى، فإذا كلاهما أكثر صلادة بكثير وأقل عائديه شخصية بكثير، مما كانا عليه إنه لمن المستحيل عليه أن ... أبدا مرة أخرى كما جعلته كلارسيا يشقى إنه خلال ساعات متوالية (حمدا لله أن يقول المرء مثل هذه الأشياء دون أن يمنعه أحد) ساعات وأيام لم يفكر في ديزي أبدا"(وولف، 1998، ص ص 87).

إننا مع تيار الوعي في رواية (السيدة دالاواي) نقرأ النص وبالكاد نفهم قصد الروائية، نظرا لنَفَسِها الروائي المتقطع، الناجم عن أفكار متعارضة، ناتجة عن نفسية مضطربة، وذهن مشتت، فالرواية الأنموذج كانت قد كتبت في مرحلة مرضها العصبي، حيث عاشت الفراغ والوحدة والألم، وعانت من نوبات جنون تظهر فيه بعثرة الكلمات والأفكار هنا وهناك، حيث تقول كمثال على هذه البعثرة: "..." (وولف، 1998، ص ص 87).

امتازت ذهنية وولف بشدة تدفق التفكير، مما سبب لأفكارها ازدحاما لغويا تعجز فيه الكلمات عن التعبير، والوصف، وقد تجلى ذلك في قولها: "وإذا كانت ترقب التاكسيات شعرت بحس سرمدي، بكونها في الخارج، في الخارج، بيدا في عرض البحر ووحدها، كانت تشعر دائما بأن من الخطر جدا جدا العيش ليوم واحد، لا لأنها تظن نفسها شاطرة، أو أكثر من الاعتيادي بكثير ، أما كيف شقت طريقها في الحياة ببضع جذاذات من المعرفة زودتها بها الآنسة دانيال الألمانية فإنها لا تدري." (وولف، 1998، ص 13) . ففي عبارة (بكونها في الخارج، في الخارج) تكرر الروائية كلمة الخارج تكرارا مبتذلا يدل على عجزها اللغوي الناجم عن حالتها النفسية، فرغم ما يتسم به التكرار كظاهرة أسلوبية من قدرة على التأكيد ووسم الأسلوب بسمة التميز والتفرد إلا أنه هنا دليل الضعف والتشتت الفكري الذي يضعف من قدرات الروائية فتعجز عن إيجاد التعابير الملائمة، والبديلة عن تكرار اللفظ، والأمر نفسه يقال عن تكرارها في النص ذاته (من الخطر جدا جدا العيش ليوم واحد) لفظة جدا التي تصف بها خطورة العيش، أو خطورة مواصلته.

ولا شك أن ما يقال عن لغة الرواية في بعض المواضع لا يمكن رده بأي حال من الأحوال لسمات النص المترجم الذي يفقد سمات الأصل، فقد قال جبرا إبراهيم جبرا عن ترجمة هذه الرواية إلى اللغة العربية: "... والترجمة دقيقة وبارعة وجميلة، رغم أن النص الانجليزي هو من ذلك النوع من السهل الممتنع الذي يكاد يستعصي على الترجمة لشدة رهافته، وثراء قرائنه الذهنية، لقد وفق المترجم في جهده، فأوجد نصا يمتاز بالأمانة للأصل، ويقاربه في الوقت نفسه شاعرية وسلاسة". فقد حافظ هذا النص على كل مقومات النص الأصلي، دون أن يلغي خصائص لغة الترجمة (وولف، 1998، الغلاف الخلفي).

5. الخاتمة:

نستطيع مما سبق استخلاص جملة النتائج التالية:

- تتجلى ملامح تيار الوعي في إيقاظ الضمير الإنساني؛ فرغم ما تحمله هذه الحياة من مرارة وسخافة، فهي في نظر الكاتبة كالسجن الكبير، ونحن في الحياة مكبلين بالعادات والتقاليد والمسؤولية ...، إلا أنها تدعو قراءها إلى النظر في الجانب المشرق من الحياة، ليزينوا هذا السجن الكبير بالورد والأزهار والأشجار والطيور.

- يعتمد تيار الوعي على استنباطِ أفكارِ المتكلم اللاواعية التي قد قُمِعت أو تعرّضت للتجاهل، حيث نجد الروائية في صراع وجودي وفلسفي وفكري عميق، فمرة هي البائسة التي تشعر بأن الوجود مُنتهٍ لا محالة، ومرة هي الواعظة التي تدعو للتقوى والتحلي بالعدل والإخلاص.

يبرز تيار الوعي في رواية (السيدة دالاواي) على شكل مونولوج داخلي، يساهم في التعبير عن عن أفكار ومشاعر وانطباعات الشخصيات الروائية، بل إنه في بعض المواضعى من الرواية ينقل لنا مواقف الروائية ذاتها مما يحدث في روايتها.

- ينطوي هذا الأسلوب على فوضى عارمة تختلط فيها الأفكار وتتبعثر المشاعر، وكلها نتيجة لاضطراب نفسي عانته الكاتبة وتعانيه في فترات الكتابة، ما يجعل ذلك الاضطراب يتجلى في شخصياتها وعقولهم ، وطرق تفكيرهم.
- إن خصائص تيار الوعي البارزة في رواية (السيدة دالاواي) تجعلها سيرة ذاتية لفرجينيا وولف في شكل سردي، مما يجعل عنصر التخييل فيها نادرا، فهي رواية أقرب للواقع المعيش، تروي تفاصيل حياة كلاريسيا دالاواي محاكاة لحياة الروائية.

6. قائمة المراجع:

- **الكتب:**

- أمين، أحمد (2012) كتاب الأخلاق، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- خالد، خالد محمد(2004) مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره، القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع، ط3.
- زغرب، صبيحة عودة (2005) غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، عمان: دار مجدلاوي للنشر .
- زيتوني، لطيف (2002) معجم مصطلحات نقد الرواية، بيروت: مكتبة لبنان، ناشرون، دار النهار للنشر، ط1.
- علوش، سعيد معجم (1985) المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1.
- غنايم، محمد(1993) تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، بيروت: دار الجبل، ط2 .
- فتحي، إبراهيم (1986) معجم المصطلحات الأدبية، صفاقس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر.
- لوكاتش، جورج 1986 الرواية التاريخية.. ترجمة صالح جواد الكاظم، لبنان: دار الشؤون الثقافية لبنان.
- همفري، روبرت (2000) تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة محمود الربيعي، القاهرة: دار غريب.
- وولف، فرجينيا (1998) السيدة دالاوي، ترجمة عطا عبد الوهاب، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط 2.
- Interior monologue (2012)Encyclopedia, Britannice.

- Dawling David, Mrs Dallaway(1991) Mapping streams of consciousness Twayne publishers,.

- **المواقع الالكترونية:**

- https://www.independentarabia.com
- https://www.almasryalyoum.com